إرناني

الفصل الرابع

المقنّع

(سطحية أمام قصر دون جوان أراغون في ساراقوسة. إنه يـوم عـرس ألفيـرا وإرناني. نبلاء، سيدات ومقنّعون يختلطون معا.)

كورس آه، ما أسعد العروسان كيف يمرحان
كأنهما زهرتان ناميتان.. على ساق واحدة
مرت الأيام العاصفة بسلام
والسماء تتطلع إليهما بالابتسام

(يظهر شخص مقنّع يرتدي عباءة لها نصف قناع للوجه وينظر بقلق حوله)

من هذا الذي يتجول؟..
مرتديا معطفا أسود
كأنه شبح يرمي تعويذة
سحرية من القبر
عيناه تلتهبان كالجمر
خافيا غضبه والقهر

(المقنع يغادر بعد أن يقوم بحركات مهددة)

اذهب، اترك السعداء
مظهرك ينذر بالبلاء
ليحل المرح والسعادة في هذا المكان
وغبطة القلب تبدو على شفاه كل إنسان

إرناني الأصوات تخفت
والمشاعل تنطفي
والحب يهوى
الغموض والصمت

أنظري،
ألفيرا، أنظري
حتى النجوم تبسم لنا
وتسعد لاتحادنا
ألفيرا كنت أراها تسطع
هكذا من قصر سلفا.. وأنا في انتظارك!
وقلبي حزين لا يصبر. وقد طال غيابك
وتمر الساعات كأنها قرون أُداري قلبي المجنون
وها أنذا اليوم قربك
أسعد بقلبك الحنون
إرناني إلى الأبد
ألفيرا يا للسعادة
إرناني إلى الأبد، نعم أنا لك
إلى الأبد
ألفيرا وإرناني
حتى النفس الأخير
لنا قلب واحد أحد.
(يُسمع من بعيد صوت بوق)
إرناني (لنفسه)
لعنة الإله!
ألفيرا دعني أرى
البسمة في وجهك.
إرناني (عند سماعه نداء آخر)
آه، النمر يريد فريسته!
ألفيرا (مصعوقة)
يا للسماء! ما هذا؟.. لماذا القلق!..

إرناني ألا ترين يا ألفيرا
هذه التكشيرة
الجهنمية الشريرة
تبرق من بين الظلال
هازئة بسعادتي!
إنه الشيخ! الشيخ المأفون! أنظري!
ألفيرا وا أسفاه، لقد فقدت عقلك!
(صوت البوق يقترب)
إرناني يريدني!..
(إلى ألفيرا)
أصغ يا حبيبتي ألفيرا
أعاني هذه اللحظة من جرح قديم
اذهبي يا حبيبتي واحضري دواء لأستكين.
الفيرا ولكن أنت، سيدي!
إرناني إذا كنت تحبينني، اذهبي وأسرعي
(ألفيرا تدخل إلى غرفة عرسها)
الآن كل شيء هادئ حولي
ربما كان ما سمعت وهما من خيالي
لم أعتد السعادة ولعل القلب
يحلم بآلامي في الماضي
وانشغال بالي
(سلفا المقنع يقف في أعلى الدرج)
سلفا انتظر
إرناني إنه هو!
جاء ليبدل بالغار الآس.
سلفا (يريه البوق)

هذا رهانك:
في اللحظة التي ترغب فيها إنهاء حياة إرناني
أنفخ في البوق ويموت إرناني
(يقترب أكثر من إرناني)
هل تنقض عهدك؟..

إرناني إصغ، إصغ لكلمة أخرى
وحيدا، جوالا، تعيسا
منذ أيامي الباكرة
أشرب حتى الثمالة
كأس الأحزان المريرة
الآن وقد منّت علي السماء
دعني أرشف منها بعد كل الشقاء
كأس حبي الوحيد.

سلفا (يسلمه بقسوة خنجرا وبعض السم)
هذا هو الكأس
أسمح لك بالاختيار
عجل.

إرناني أيها الإله العظيم

سلفا إذا تأخرت أو ترددت..

إرناني سأرى إن كان السم أو الخنجر!
تلجأ روحي إليه أكثر...

سلفا أين الشرف الإسباني العريق
أتحنث بيمينك زورا، أيها الكاذب الصفيق؟..

إرناني (يأخذ الخنجر)
حسنا، أعطني إياه، سأموت!

ألفيرا (خارجة من مخدع عرسها)

توقّف أيها الرجل القاسي، لماذا؟
أترغب في قتل حياتين؟..
(إلى سلفا)
أي شيطان مريد
دبر هذه المكيدة؟..
خططت مذ كنت قرب الضريح
لتنفيذ انتقامك!
سأسرع بالموت إليك
أيها الشيخ الظالم
آه، ماذا أقول؟.. اغفر لي
ألمي المبرح هو الذي يتكلم

سلفا عبثا تبكين، يا امرأة، عبثا ألين..

ألفيرا آه!..

سلفا لا فائدة، لن أغفر!

إرناني (لنفسه) غضبه لدود، لا يلين

ألفيرا (إلى سلفا)
أنا ابنة لآل سلفا
أحبه، وثيق الرباط الذي يشدنا
لا يقبل الانفصام.

سلفا تحبينه؟.. سيموت
من أجل هذا الحب سوف يموت!

ألفيرا ارحم دموعي المريرة.

إرناني خبئي دموعك عني،
أنا بحاجة إلى الثبات.

ألفيرا (إلى سلفا)
الرحمة!

إرناني الألم في قلبه يفوق كل الآلام،
ألفيرا ارحمه وارحمني!
إرناني قسم رهيب
يدينني للموت
ألفيرا الرحمة!
سلفا لا.
إرناني سعادتي هزئ بها القدر
وليس علي أن أهرب أو اتحسر!
ألفيرا وإرناني
السماء لا ترحمنا
لا ترحم السماء
الناس البؤساء
ألفيرا (إلى سلفا)
ارحمني وارحمه!
سلفا سيموت، سيموت
من أجل هذا الحب سيموت!
أيتها المرأة دموعك هذه لا تجدي
لا فائدة، لست أنا من يغفر
(يقترب من إرناني مهددا)
البوق، نفخة واحدة يسمعها
وإرناني فورا يموت بعدها.
إرناني أفهم، أفهم.
ليتحقق قدري المميت
(إرناني يغرز الخنجر في صدره)
ألفيرا ماذا فعلت؟..
أيها التعس!

أريد أن أموت.
هات الخنجر من أجلي!.

سلفا كلا، أيتها المرأة التعسة، توقفي.
عبثا حماقتك!

إرناني ألفيرا، ألفيرا

ألفيرا انتظرني
أنا لاحقة بك!...

إرناني عيشي، يا حبيبتي، أنا آمرك،
أحبيني وعيشي، وداعا.

الفيرا وإرناني
فراش العرس من أجلنا
غدا المذبح لموتنا

سلفا (إلى نفسه)
ليأت شيطان الانتقام
ضاحكا فقد انتصر!

إرناتي ألفيرا، ألفيرا

ألفيرا انتظرني

سلفا ليأت..

(إرناني يموت وألفيرا يُغمى عليها)

* * *